

وكان أبو سليمان الداراني يقول لاتضر الشهوات من لم يتكلفها، إنما تضر من حرص عليها. وكان يدعو أصحابه فيقدم إليهم الطيبات فيقولون له تنهانا عنها وتقدمها إلينا؟ فقال لأنى أعلم أنكم تشتبهونها، فتاكلونها عندى خيراً، ولو جاعنى من يزهد ما زدته على الملح شيئاً. وكان يقول أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى. وقال بعض الخلفاء شرب الماء بثلج يُخلص الشكر لله تعالى.

## الفصل التاسع والثلاثون

**فيه كتاب الأطعمة. وذكر ما يجمع الأكل من السنن والآداب. وما يشتمل على الطعام من الكراهة والاستحباب.**

قال الله الجليل جلّ جلاله «يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله». فقدّم الأمر بالأكل على الأمر بالشكر. وقال سبحانه "يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل"، فقدّم النهى عن الأكل للحرام على القتل للنفس، تفضيلاً للأكل الحلال وتعظيماً للأكل بالباطل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليؤجر حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه أو إلى فى امراته. وروى عنه صلى الله عليه وسلم ما أطمع المسلم نفسه وأهل بيته فهو صدقة له. وسئل صلى الله عليه وسلم ما الإيمان، فقال إطعام الطعام وبذل السلام. وقال عليه السلام فى الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام. وسئل عن الحج المبرور فقال إطعام الطعام ولين الكلام.. وكان ابن عمر يقول من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وبذله لأصحابه. وروينا عن على عليه السلام لأن أجمع إخوانى على صاع من طعام أحب إلى من أن أعتق رقبة. وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء قبل الصلاة. قال فكان ابن عمر ربما سمع الإقامة وقراءة الإمام فلا يقوم من عشاءه. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الطعام ما كثرت عليه الأيدي. وقال عليه السلام فضل هائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينقى الفقر، وبَعْدَه ينقى اللحم ويصحّ البصر.. يعنى بالوضوء غسل اليد. وقال أحمد بن حنبل الأكل من الطيب قدمه الله عز وجل على العمل، فقال عز وجل «كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً». وكان سهل يقول من لم يحسن

أدب الأكل لم يحسن أدب العمل. قال والذي يتصنع في الأكل هو الذي يتصنع في العمل. وقال مرة الذي يؤدي في الأكل هو الذي يؤدي في الصلاة. وكان بعض السلف يقول إني لأحب أن يكون لي نية في كل شيء حتى في الأكل والنوم. وقد كان السلف الصالح يكون لأحدهم في الأكل نية صالحة، كما يكون له في الجوع نية صالحة. والذي يأكل بغير نية الآخرة، للعادة والشهوة والمتعة، قد يجوع لغير الآخرة، للعادة والشهوة أيضا والتزین للخلق، وهذا من دقيق آفات النفوس، فحسُنْ مَنْ أَكَلَ بنية الآخرة، ولأجل الله سبحانه وتعالى كحسُنْ من جاع لأجل الله تعالى وبنية الآخرة، وإلا كان من أبواب الدنيا.

فالطعام والأكل يشتمل على مائة وسبعين خصلة ، ما بين فرض وسنة، وأدب وفضيلة، واستحباب وكراهة، ومروءة وفتوة، من طريق السلف وصنائع العرب. أول ذلك أن يكون المأكول حلالاً، وعلامة الحلال ثلاث: تكون عينه معروفة لم يخالطها عين ذمها العلم من ظلم وخيانة، ويكون سببه باحاً لم تحتوه بسبب محظور في الشرع لأجل هوى أو مراهنة في دين ودينا، ويكون قد وافق فيه حكم السنّة لا يكون على وصف مكروه، ثم ينوى بالأكل التقوى على البرّ، والتقوى والاستعانة على خدمة المولى، ويعرف النعمة فيها أنها من المنعم وحده لاشريك له فيها، ويعتقد الشكر له عليها، ويؤثر التقلل على الاتساع، والقناعة على الحرص، والأدب فيه على الشره، ثم غسّل اليد في أوله للاستحباب، وفي آخره للنظافة، والتسمية في أوله والحمد في آخره، والأكل باليمين، وابتدى بالملح ويختم به، وأن لا يذم مأكولا ولا يعيبه، إن أعجبه أكل وإلا تركه، والقناعة بالمأكول من القسّم، والرضا بالموجود من الرزق، وأن تكثُر الأيدي على الطعام، وفي الخبر اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه، وتصغير اللقمة، وتجويد المضغ، وأن لا ينظر في وجوه الأكلين ولا يتفقد ماكلهم، وأن يقعد على رجله اليسرى وينصب اليمنى ، ولا يأكل متكئا ولا مضطجعا، ولا يكون أول من يبتدىء بالأكل حتى يسبق صاحب المنزل ، والأكبر فالأكبر إلا أن يكون إماما يُقْتدى به، أو يكون القوم منقبضين فيبسّطهم بالابتداء، ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ، ولا يجمعهما في كفه، ويستحب أن يأكل من التمر وترأ ، سبعا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين، وأن يفطر على رطب إن وجدته وإلا فتمر، فإن لم يجد فعلى الماء. وكان وهب بن منبه يقول الصائم يزيغ بصره ، فإذا أفطر على حلاوة رجع بصره. ولا يقرن بين تمرتين في الجماعة إلا أن يفعلوا ذلك أو يستأننهم، وأن يأكل بعد الجوع، ويرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه أو نصفه، كذلك سنّة السلف وهو أصحّ

للجسم، وليأكل مما يليه إلا الفاكهة فله أن يجيل يده فيها، ويأكل بثلاثة أصابع، إلا الثريد فيأكل بأصابعه كلها، وأن يأكل من ذروة القصعة ولاوسط الطعام، وليأكل من نواحيه، وأن لا يصمتوا على الطعام فإنه من سيرة العَجَم، فليتكلموا بالمعروف، ولايكثر قوله «كُلْ على أخيه فإن ذلك يحشمه وربما قطعه، ولا ينبغي لأخيه أن يُحوِّجَه إلى تفقده في الأكل وتكرير قوله له «كُلْ». وقال بعض الأدباء أحسن الأكلين أكلاً من لم يحوِّج صاحبه إلى تفقده في الأكل، ومن حمل عن أخيه مؤنة القول، ولا يدع شيئاً من المأكول يشتهيهِ لأجل نظر الغير إليه فإنه من التصنع، فإن تركه إثارة لإخوانه أو قدمه إلى أخيه فحَسَن، ولا يُنقِص من أكله المعتاد، وإن زاد لأجل مساعدة الجماعة أو بنية فضل الأكل مع الإخوان فلا بأس بذلك. والشرب في تضاعيف الأكل مستحب من جهة الطب مالم يبتديه أو يُكثر منه، يقال إنَّه دَبَّاعُ المعدة. والشرب متكئاً مكروه للمعدة أيضاً من جهة الطب، والأكل متكئاً ونائماً ليس من السنَّة إلا ما يتناول أو يتنقل به من الحبوب ومافى معناها. ويقال إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بَقْل، ودعا بعض الرؤساء إخوانه فانفق مائتى درهم ، فقال له بعض الحكماء لم تكن تحتاج إلى هذا كله إذا كان خبزك جيد ، أو خلك حامضاً، وماؤك بارداً فهو كفاية. وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان، والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين. وقال آخر شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة الألوان. وقال أبو سليمان الداراني أكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل. وقال المأمون رحمه الله شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله عز وجل. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن إكرام الضيف تعجيل الطعام لهم. وأفضل ماقدّم إليهم اللحم، وخير اللحم السمين النضيج، فإن كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع لهم الطيبات. ينتظم هذه المعانى قوله عز وجل «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين» قيل فى المكرمين قولان أحدهما خدمته إياهم بنفسه، والثانى أكرمهم بتعجيل الطعام إليهم. وقوله تعالى «فما لبث أن جاء بعجل هنيد» أى فما احتبس ولا أقام، والحنيذ النضيج. وقال تعالى «فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين»، الروغان الذهب بسرعة، وقيل الذهب بخفية، وقيل إنه جاء بفخذ من لحم فسئى عجلًا لأنه عجلٌ ولم يُبث به. ثم وصِف بأنه سمين نضيج، يقال حنيذ ومحنوذ أيضاً، قال كان نضيجا.

ولياكل الرجل في منزل أخيه سجية أكله في منزله بغير تكلف ولا تزين، لأنه قد يدخل من الرياء والتزين في الطعام مثل ما يدخل في سائر الأعمال من الصلاة والصيام، والأكل عمل، وكل عمل يحتاج إلى نية وإخلاص، فلتكن نيته في أكله الاستعانة على الطاعة، ولتكن نيته مع إخوانه إكرامهم بذلك وإدخال السرور عليهم، والتبرك بالجماعة لقول النبي صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة. وينوي إقامة السنة في إجابة الدعوة ليكون مأجوراً في أكله عاملاً في جميع ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا كله داخل في حسن الخلق، وهو في معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم إن العبد ليبرد بحسن خلقه درجة الصائم للقائم. وقد قال بعضهم هو الرجل يسأل إخوانه أن يفطر معهم نهاراً أو يسهر معهم ليلاً، ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقاً معهم، فيبرد بحسن خلقه درجة الصائم القائم. وقال بعض العلماء من أهل الأدب ليس من السنة والمروعة أن يزور الرجل إخوانه فيتشاكل عنهم بالصلاة النافلة، أو يستزيره إخوانه فيقدمون إليه الطعام فلا يساعدهم عليه لأجل الصيام، ولا يقصر عن بغيته من المأكول فيترك الأكل مع حاجته إليه، فإنه غير محمود ولا مأجور عليه إن لم يكن سبب أو يجب عليه ذلك. وقال جعفر بن محمد عليه السلام أحب إخواني إلى أكثرهم أكلاً وأعظمهم لقمة. وأثقلهم على من يحوجني إلى تعاهده في الأكل. وقال أيضاً يتبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله، فإن قل الأكل مع الفقراء إيثاراً لهم أو لقلّة الطعام فحسن. وروينا أن سفیان الثوري دعا إبراهيم بن آدم وأصحابه إلى طعام فقصرُوا في الأكل، فلما رفعوا الطعام قال له الثوري إنك قصرت في الأكل، فقال إبراهيم لأنك قصرت في الطعام فقصرنا في الأكل. قال ودعا إبراهيم الثوري وأصحابه إلى طعام فأكثروا منه، فقال له يا أبا إسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً، فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف. ويليق أصابعه قبل أن يمسحها بالخرقة، وليأكل ما سقط من فئات الطعام، يقال إنه مهور الحور العين، يقال من لعق الصحيفة وشرب ماءها كان له عتق رقبة. وإن أكل حلالاً فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً. وليكثر شكر الله تعالى على ذلك. وإن أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا تجعله قوة لنا على معصيتك، وليكثر الحزن والاستغفار. وفي خبر إذا دعى أحدكم إلى طعام فلم يجب فلا يقل كلُّ فلعله يكون أخذه من غير حله، ولكن ليقبل أطعمك الله طيباً. وليقل إذا

أكل لبناً اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، وبارك لنا فيما رزقنا ، وارزقتنا خيراً منه .  
كذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، لأن اللبن أعم نفعاً من غيره .  
وليقال في أول لقمة بسم الله ، وفي الثانية بسم الله الرحمن ، وفي الثالثة بسم الله الرحمن  
الرحيم ، وليشرب الكوز في ثلاثة أنفاس يقطعه ، وليقل في أول جرعة الحمد لله ، وفي الثانية  
الحمد لله رب العالمين ، وفي الثالثة يزيد الرحمن الرحيم . وإن سَمَى في أول كل لقمة فَحَسَنَ ،  
وليقرأ بعد فراغه من الطعام قل هو الله أحد ولئيلاف قريش .

وتقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق . وفي كتاب الله عز وجل ترتيب ذلك من قوله سبحانه  
وتعالى «وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون» ، ولا يرفع يده قبل إخوانه إذا  
كانوا يحتشمون أو يحتاجون إلى بسط ، فإن كان قليل الأكل تربص حتى يضعوا أيديهم  
فيأكلوا صدرأ من الطعام ثم يقعد بعدهم ليستوى أكله مع أكلهم ، فإن كانوا علماء لم يكرهوا  
ذلك منه وقد فعله كثير من الصحابة ، ولا يتكلف لإخوانه من الماكول ما يتثقل عليه ثمنه أو  
يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة . ولا يدخر عنهم ما بحضرتة ، ولا يستأثر بشيء  
دونهم ، ولا يضر بعياله . وليس من السنة أن يقصد الرجل قوماً يتحين حضور طعامهم  
ليصادفه فإن ذلك من المفاجأة فقد نهى عنه ، قال الله سبحانه وتعالى «لا تدخلوا بيوت  
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه» ، يعني منتظرين حينه ونضجه . وفي  
الخبر من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ، ولكن إن صادفهم يأكلون  
فسألوه أن يأكل معهم وعلم أنهم يحبون أكله معهم فلا بأس وليس ذلك داخلًا في المفاجأة ،  
فإن لم يعلم أنهم يحبون أن يأكل معهم وإنما قالوه تعزيزاً وحياءً كرهت له الأكل معهم . وإن  
كان جائعاً فقصده بعض إخوانه ليطعمه ولم يتحين وقت أكله فلا بأس بذلك . وقد قصد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم منزل أبي الهيثم بن التيهان  
وأبا أيوب الأنصاريين لأجل طعام ياكلونه وكانوا جياعاً . ومن السنة أن يخرج الرجل مع  
ضيفه إذا انصرف إلى باب الدار . وليس من السنة أن يخرج الضيف من المنزل عن غير إذن  
صاحبه ، ولا أن يقيم للضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يخرج أو يتبرم به . وروينا عن أنس بن  
مالك وغيره من الصحابة كانوا يقدمون إلى إخوانهم ما حضر من الكسر اليابسة والحشف  
من التمر والدقل ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً ، الذي يحتقر ما يقدم إليه ، أو الذي  
يحتقر ما عنده أن يقدمه . وقد كان أنس وغيره يقولون إن الاجتماع على الطعام من مكارم

الأخلاق. وفي الخبر أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون على قراءة القرآن والذِّكْر ولا يفطرون إلاّ عن نَوَاقٍ. ولا ينبغي للمدعو أن يقترح على الداعي شيئاً بعينه فيقول أريد كذا فليس ذلك من القناعة، فإنَّ خَيْرَهُ أخوه بين طعامين فليختر أقربهما منه وأيسرهما عليه، كذلك السنة. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خَيْرَ بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما. فإنَّ شَهَاءَ أخوه وسأله فلا بأس أن يذكر له شهوةً ليصنعها فيعينه على فضيلتها، فقد روينا في فضل ذلك غير حديث، منها الحديث المشهور من صادف من أخيه شهوةً غفر له، ومن سرَّ أخاه المؤمن فقد سرَّ الله عز وجل. وروينا عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لَذَّ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات، جنة الفردوس وجنة عدن، وجنة الخلد.

والخلل بعد الأكل حسن فلا يبين عنه. ولا بأس بغسل اليد في الطست، وروينا أن أنس بن مالك اجتمع هو وثابت البناني على طعام فقدم الطست إلى ثابت ليغسل يده فامتنع، فقال أنس إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا ترده فإنه إنما يكرم الله عز وجل. وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضريير فصبَّ على يده في الطست، فلما فرغ قال له يا أبا معاوية تدرى من صبَّ على يدك قال لا، قال أمير المؤمنين، قال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجلته فأنجلك الله عز وجل وأكرمك كما أجلت العلم وأكرمته. ولا يزدردن ما أخرج الخلال من أسنانه فإنه داء ومكروه، وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن بعض أهل البيت عليهم السلام. وليقل عند فراغه من الطعام الحمد لله حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه، اللهم صلّ على محمد وعلى آله، وأطعمنا طيباً، واستعملنا صالحاً، واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معاصيك.

وفي الأكل مع الإخوان ثلاث فضائل - روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأنطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وفي خبر عن بعض السلف لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه، فكان بعضهم يكثر من الأكل في الجماعة ويتقلل إذا أكل وحده. وروينا عن ابن مسعود قال نهينا أن نجيب دعوة من يباهى بطعامه. وقد كره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة والمباراة، وهذا مكروه لمن

يقدمه بهذه النية إلى إخوانه لأنه قد عرضهم لتناول ما يكرهون، وقد دأس عليهم ما لا يعلمون. وأيضا فإن ما يقدم لأجل الله تعالى فلا يصلح أن يستثنى ارتجاع شيء منه. ولا ينبغي له أن يقدم إلا ما يحب أن يأكلوه من كل شيء أيضا، ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول. وإذا حضر الطعام والصلاة فإن كانت نفوسهم تتوق إليه وفي الوقت سعة قدموا الأكل، وإن كانت نفوسهم ساكنة أو ضاق الوقت أو خشوا أن يتناول بهم الأكل صلوا أولا. وينبغي إذا حضرت الألوان أن يبتدىء بتقديم الألف فالألف، والأطيب فالأطيب. والأمثل أن يبتدىء بالشواء قبل الثريد فذلك سنة العرب، ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أثوب لصاحبه وأقل لأكلهم، فإن احتاجوا إلى ما بعد من غليظ الألوان والطعام تناولوا منه قليلا، فإنما قدم أهل الدنيا اللون الغليظ على اللطيف ليتسع أكلهم وتنفق شهوتهم فيكون اللون اللطيف في موضع آخر، وليكونوا قد أكلوا من اللون الأجود الأطيب أقل، وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة. وقد كان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة الألوان في مكان واحد مما يُشتهي، وليكون ما تقدم معلوما لهم. وإذا لم يكن عنده إلا لون واحد يقول لهم ليس يحضر إلا هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا إلى غيره. وينبغي أن يمكنهم من بقية الألوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم فإنه من الأدب، ولعل فيهم ما يكون عنده ما قدم أشهى إليه مما يقدم بعد، وقد يكون فيهم من به حاجة إلى فضل أكل فينقص عليه برفعه قبل أن يستوفى ما في نفسه.

وكان بعض السلف يقول في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت، أي لا يكون من مأكلك في الجودة ومما له قيمة فتشوق على نفسك بذلك. وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف، يدعو أحدهم أخاه فيكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه. وكان بعض السلف يأمر بتقديم ما حضر فإنه أودم للرجوع وأذهب لكرامة صاحب المنزل ومن دعى إلى طعام وعنده إنسان أو جماعة من حيث يعملون فليستثنى الواحد أو الجماعة معه فإنه من السنة والأدب، فإن دعى وحده أو مع نفر بأعيانهم أو أعدادهم فتبعهم واحد لم يكن في العدد فليذكر للداعي قبل دخولهم إليه ليأذن له معهم، كذلك السنة. ومن دعى في جماعة وفوض إليه الأمر فيهم فليعرف صاحب المنزل عدتهم قبل مجيئهم ليستعد لهم بعد أن يعرض عددهم. ومن دعا رجلاً في غير دعوة عامة وعنده قوم أو رجل بعينه فليعلمه بمن عنده ليدخل على بصيرة، فلعل أن يكون عنده من يكره هذا المدعو الاجتماع معه، لأن الأكل معاشرة، وليس كل إنسان يحب

أن يعاشر كل أحد خاصة الرؤساء. ومن دخل عليه داخل وهو يأكل فلا يرفع الطعام فليس ذلك من السنة ولا من فعل أهل المرومة، ولعل الداخل أحوج إليه منه وقد بُعث إليه اختباراً له. وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تُلحَن عليه، وكذلك إذا دعوته ففكره فقد قالوا لا تُكْرَمُ أخاك بما يشقُّ عليه، ولا تزيدن على ثلاث مرات، فإن الإلحاح واللجاج مازاد على ثلاث مرات وليس ذلك من الأدب. قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يُراجِعْ بعد ثلاث .

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول الطعام أهون من أن يُحْلَفَ عليه، وقال مرة من أن يُدعى إليه، ذلك لعظيم حق المؤمن. وكان الثوري يقول إذا زارك أخوك فلا تقل له تاكل أو أقدم إليك، ولكن قدّم ماعنك، فإن أكل وإلا فارفعه. وكان الحسن وابن المبارك إذا أرادا الغداء أو العشاء فتحا بابهما فمن دخل عرضاً عليه الأكل. وقد كان هذا من سيرة السلف أنهم يفتحون الباب عند حضور الطعام، ومن صادف دخوله أكل معهم. ومنهم من كان يقعد في دهليز داره ويفتح الباب فكل من مرّ عليه في الطريق دعاه إلى طعامه من غنى أو فقير. وقال بعض التابعين إلا أن خياركم أكلكم في الألفية وأوسعكم أنية وأحلامكم أظلية، إلا أن شراركم أكلكم في الأخبية وأصفركم أظلية. ومن دعا رجلاً إلى طعامه وهو يعلم أن الأحبّ إليه أن لا يأكل فمكروه له أن يأكل ولا يعبأ بقوله إذا علم منه خلافه، فإن لم يعلم حقيقة ذلك فله أن يجيبه على ظاهر قوله، وليس له أن يسئ الظن به . ودعا رجل الأحنف بن قيس في سفر إلى طعامه فقال له الأحنف لعلك من العارضين، قال وما العارضون، قال الذين يحبون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا، فسكت الرجل فلم يجبه الأحنف إلى الطعام. وكان الثوري يمشى مع رجل فمر بباب منزله فعرض عليه الدخول ليأكل عنده، فقال له الثوري أصدقني عن شيء أسألك. أيما أحب إليك ، أدخل أو انصرف؟ فسكت فانصرف الثوري. ومن علم من أخيه أنه يحب أن يأكل من طعامه فلا بأس أن يأكل بغير إذن، لأن علمه بحقيقة حاله ينوب عن إذنه له في الأكل. وقد كان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن ربما دخل فيجدهم كذلك فيُسر ويقول هكذا كنا. وروى عنه أنه كان يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ، ومن هذه فستقة، فقال له هاشم الأرقص يا أبا سعيد تاكل من متاع الرجل بغير إذنه، فقال يا لك، أما قرأت آية الأكل، ثم تلا عليه «ولاعلى انفسكم أن تاكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم» إلى قوله تعالى «أو صديقكم» . ثم قال

الحسن: الصديق مَنْ استرَوحتْ إليه النفس واطمأن إليه القلب، فإذا كان كذلك فلا يأتُن له في ماله. وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمًا تصدَّق به على بريدة من غير أن يستأذنها ولم تكن حاضرة، لعلمه أنها تسرَّ بذلك. وقال إن الصدقة قد بلغت محلها، هو عليها صدقة، ولنا هدية. وقال صلى الله عليه وسلم - رسول الرجل إلى الرجل إذنُهُ، أى قد علم بإذنه له فى الدخول عليه فأغناه من الاستئذان. ففى تدبّر فعله عليه السلام أن مَنْ علمتْ كراهته لأكلك من طعامه أنْ لا تاكل.

وقد كان بعض الصوفية يقول لا تُجِب دعوة إلا مَنْ يرى لك أنك أكلت رزقك وأنه سلّمه إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه فى قبولها منه، فهذه شهادة العارف من الداعين. كذلك شهادة المدعوين من الموحدين: أن يشهدوا الداعى الأول، والمجيب الآخر، والمعطى الباطن، والرازق الظاهر.

وروينا عن ابن عباس أنه قال من أفضل الحسنات إكرام الجلساء، مَنْ لم يُرد أن يطعم قوماً من طعام فلا يظهرهم عليه ولا يصفه لهم سواء كان هو قد أكله أو لم يأكله. وينبغى أن يكون للمجيب إلى الدعوة نيات سبع إذ الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، إذ الإجابة من الأعمال، فمن نواها دنيا كانت له دنيا لعاجل حظه، ومن أراد بها آخره فهى له آخره بحسب نيته، وإن لم تحضر نية أو اعتلّ بفسادها توقف حتى يهيهء الله عز وجل له نية صالحة تكون الإجابة عليها، أو ترك الإجابة إذا كانت بغير نية، لأنها من أفاضل الأعمال فتحتاج إلى أحسن النيات، لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات، ولقد الهوى منها فيسلم فيها من السيئات، وإلا كانت إجابته هزواً وكان عاملاً فى باب من أبواب الدنيا وساعياً فى حظ نفسه وملء جوفه. وقد قال الرسول عليه السلام من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها فهجرته إلى ماهاجر إليه، فيصير مأزوراً بفساد النية، أو يكون غير مأجور لعدمها، فأول النيات طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقوله عليه السلام من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. والثانية إقامة السنّة لقوله عليه السلام لو دعيتُ إلى كراع لأجبت (وهو موضع على أميال من المدينة أظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغه وقصر عنده فى سفره). وقال فى الخبر الآخر لو دعيت إلى ذراع لأجبت.. فهذا ظاهر فى الإجابة على القليل، والأول محتمل فى الإجابة إلى الموضع البعيد، والنية

**الثالثة إكرام أخيه ،** وفي الخبر من أكرم أخاه المؤمن فإنما يكرم الله تعالى . **والنثية الرابعة** إدخال السرور على أخيك المؤمن. والخبر الآخر من سرّ مؤمنا فقد سرّ الله عز وجل. **والنثية الخامسة** رفع الغمّ عن قلبه، ووضع الهمّ عن نفسه، في ترك إجابته، من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه لمّا لم يُجب ، ولعله يجيب وإلّا كان يجيب فيرفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤنة سوء الظنّ به وتنزيل الشك فيه باليقين به. **والنثية السادسة** أن ينوي زيارته، فقد جاء في فضل الزيارة في الله تعالى، وأنّ بها يستحق ولاية الله تعالى، وأنها علامة ولاية المتحابين في الله ، فاشتراط ذلك شيان التبادل لله والتزاور فيه. **والنثية السابعة** أن يزوره ، فقد حصل البذل من أحدهما، بقيت الزيارة من الآخر، على الخبر السائر أن الإجابة من التواضع ، كما ذكرنا من قبل أن المتكبرين لا يجيبون الداعي. فهذه سبعة أعمال نيات لمن وفّق لعملها والعمل بها.

ومن طرّفته فاقة من الفقراء فقصد بعض إخوانه يتصدى للكلّ عنده فجاز له ذلك بشرطين، لا يكون عنده موجود من طعام، ونيته أن يؤجر أخاه، فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى ، وداخل في التحاض على طعام المسكين، ونفسه كغيره من الفقراء، ولأن أخاه لا يعلم بصورة حاله ، ولو علم لسره ذلك ، ففيه إدخال السرور عليه من حيث يعلم، وقد فعل هذا جماعة من السلف . وقد روى بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح، منهم هون بن عبد الله المسعودي، كان له ثمانمائة وستون صديقا، وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر، وكان له ثلاثون صديقا كان يكون عند كل واحد يوما وليلة، وكانوا يقدمون هذه الاخلاق السنية مع إخوانهم فيؤثرونها على المكاسب والمعلوم، فكان إخوانهم معلومهم، ولم يكن هؤلاء يكتسبون ولا يدخرون، وكان إخوانهم فيهم نية صالحة، يسألونهم ذلك ويقسمون عليهم فيه، ويرونه من أفضل أعمالهم. وكان هؤلاء للإنصاف يكرمون إخوانهم بإجابتهم وكونهم عندهم. ولم يكن سعيد بن أبي هريرة يعرض على إخوانه الطعام ولكنه كان يظهره ويعرض به، فكان اللحم مسلوخا مصلقا، والخبز موجودا ظاهرا، وكذلك كان يفعل بالثياب والأثاث. وكان جميع ما في منزله مظهرًا مسبلاً، فكل من دخل عليه من إخوانه إن شاء قطع من المسلوخ فشوى وطبخ، وإن شاء أكل من الخبز بما وجد من الأدم، ومن شاء لبس من الثياب ماشاء، فكان ذلك مشاعا في منزله لمن أراد تناوله. ومنهم من كان منقطعاً في منزل أخيه قد أفرد به مكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام، يحكم فيه ويتحكم كما يكون في منزل نفسه. وقال

بعض العلماء أكلتان؛ لا يحاسب العبد عليهما ، ما أكله فى سحور ، وما أكله عند إخوانه إكراما لهم بذلك . ومن أكلف عند قوم فليقل عند فراغه : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصَلَّتْ عليكم الملائكة.

وليس كل أحد يُحسن أدب غسل اليد، كما ليس كل إنسان يعرف سُنَّة الأكل، فمن غسل يده بأشنان ابتداءً بغسل أصابعه أولاً، ثم يجعل الأشنان فى راحته اليسرى وأمره على شفطيه جَساً، وأنعم غسل فيه بإصبعيه، وظاهر أسنانه وباطنه وحنكه ولسانه، ثم غسل أصابعه من ذلك بالماء، ثم ذلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطناً، ثم لم يدخل الأشنان ثانياً إلى فيه لئلا يعود بالغمر إليه من يديه. وهذا يكفيه من تثنية الغسل. ومن غسل يد إخوانه بعد أكلهم من طعامه فمن الأدب أن يصب على أيديهم بالماء العذب، فيمثل هذه اللطيفة ونحوها يُعرف حُسْن تفقد الدعاة وليستبين تعاهد الرعاة.

ومما جاء فى الآثار فى الأطعمة والأكل من طرائق السلف وصنائع العرب أن اللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، ولن تستشفى النفساء بشيء أفضل من الرطب، والسّمك يذيب الجسد، والسواك يُذهب البلغم، ومن أراد البقاء والبقاء فليباكر الغداء وليقلّ غشيان النساء وليخفف الرداء. وفى أخبار الأمراء أن الحجاج قال لبنادق المطيب صف لى صفة أخذ بها ولا أعددتها، قال له لا تتكح من النساء إلا فتاة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيتاً، ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه، ولا تشربن دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه، فإذا شربت فلا تأكل عليه شيئاً، ولا تحبس الغائط والبول، وإذا أكلت بالنهار فتمّ، وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفيما قاله الفيلسوف ترك العشاء مهزلة، والعرب تقول ترك الغداء يُذهب بشحم الكاذبة يعنى الإلية. وقال بعضهم نهانى الأطباء عن الشرب فى تضاعيف الطعام. والعرب تقول تعشّ وتمشّ وتعدّ وتمدّ، يريدون تمدد فأبدلوا الألف من الدال الثانية كراهية التكرار ولازدواج الكلام.

وأما فى حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة الطعام إذا خرج قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة، وإذا بقى فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة. ويقال إن حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سدّ مجراه ففاض من جوانب.

وقيل لجالينوس إنك تُقَلِّ من الطعام، فقال غرضى من الطعام أن أكل لأحيا، وغرضى  
غيرى من الطعام أن يحيا ليأكل وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما  
جاء نعى جعفر بن أبي طالب إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا إليهم  
ما ياكلون. فهذا سنة في حمل الطعام إلى أهل الميت.

## الفصل الأربعون

في ذكر فضائل الفقر وفرائضه. ونعت عموم الفقراء وخصوصهم.  
وتفصيل قبول العطاء وردة. وطريقة السلف فيه

قال الله الكبير المتعال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وقال  
تبارك وتعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون خسرأ في  
الأرض، فقدم وصف أوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر، والله تعالى لا يصف من  
يجب إلا بما يجب، فلولا أن الفقر أحب الأوصاف إليه ما مدح به أعباءه وشرفهم به. وأمر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر وأخبر بفضلته في غير حديث، منها عن ابن عمر أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أى الناس خير، فقالوا موسر من المال  
يعطى حق الله عز وجل في نفسه وماله، فقال نعم الرجل هذا وليس به، قالوا من خير الناس  
يارسول الله، قال فقير يعطى جهده.. ومنها حديث بلال أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال له الق الله عز وجل فقيراً ولا تلقه غنيا. وفي الحديث الذى روى عن ابن الأهرابى  
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له لا أفضل من الفقير إذا كان راضيا.. وفي الحديث  
الأخر أن الله تبارك وتعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال.. وفي الخبرين المشهورين يدخل  
فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بخمسائة عام، والحديث الآخر اللهم أحيى مسكينا وأمتى  
مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين. فهذا منه صلى الله عليه وسلم تفضيل للفقراء وإكرام  
لهم وتنبية وحث على فضل الفقر. وروينا عنه صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة فقراؤها،  
وأسرعها تضجيعا فى الجنة ضعفاؤها. وروينا فى خبر إسماعيل النبى عليه السلام المفسر  
لخبر موسى عليه السلام أن إسماعيل قال يارب أين أطلبك؟ فقال الله عز وجل عند المنكسرة  
قلوبهم من أجلي. قال ومن هم؟ فقال تعالى الفقراء الصادقون. وقد روينا فى تفسير قوله  
تعالى «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم»، قال الفقر فى